تحرير المرأة

بين الغرب والإسلام

المفكر الإسلامي

الدكتور محمد عمارة

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

تحرير المرأة
بين الغرب والإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت (٩)

تحرير المرأة
بين الغرب والإسلام

المفكر الإسلامي
الدكتور محمد عمارة

مكتبة الإمام البخاري

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٥٦٨ - ١١ / ١ / ٢٠٠٩م

ISBN

977- 5291 - 93 - 3

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عمارة ، محمد

تحرير المرأة بين الغرب والإسلام / محمد عمارة . - القاهرة : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ .

٨٠ ص ؛ ٢٠ سم (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ؛ ٩ °)

٩٧٧ ٥٢٩١ ٩٣ ٣

١- تحرير المرأة ٢- المرأة في الإسلام

أ - العنوان ب - السلسلة ١ - ٢١٩

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

القاهرة : ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت ٢٥١٤٤٠٧٣

جوال ٠١٢/٢٩٧٦٧٩٧ - ٠١٠/٦١٨٦١١٤

مقدمة

في ١٥ مايو سنة ١٩٧٨ م عقدت الكنائس البروتستانتية الأمريكية أخطر المؤتمرات التي خطّطت لتنصير المسلمين - كل المسلمين - .. ولطيّ صفحة الإسلام من الوجود ! ..

ولقد عُقد هذا المؤتمر بمدينة « كلن إير » ، بولاية « كولورادو » - بالولايات المتحدة الأمريكية ، في ذكرى قيام إسرائيل ! .

وفي هذا المؤتمر ، الذي حضره ١٥٠ من كبار القساوسة والمُنصّرين المحترفين وعلماء العلوم الاجتماعية والإنسانية .. والذي ناقش أربعين بحثا ، ونشرت أبحاثه ومناقشاته وتوصياته وقراراته في سفر قاربت صفحاته ألف صفحة - بعد حذف الموضوعات الأكثر حساسية ! ..

تم نَقْد المخططات القديمة للتنصير ، ورسْم المخطّطات الجديدة ، التي تدعو إلى اختراق الإسلام - « في صدق ودهاء » - وفق تعبيرهم ! .. ليتم التنصير من داخل الإسلام والثقافة الإسلامية ..

ولقد جاء عن الإسلام في « بروتوكولات قساوسة التنصير » :

« إنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية .. وإن النظام الإسلامي هو أكثر النُّظم الدينية المتناسقة اجتماعيًا وساسيًا .. إنه حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر . ونحن بحاجة إلى مئات المراكز ، تُؤسّس حول العالم ، بواسطة النصاري للتركيز على الإسلام وتوصيل فهمه إلى المُنصّرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء » !! .

ولقد بلغ من طموحهم في اختراق الإسلام ، والتنصير من داخله حد الحديث عن ضرورة التنصير من خلال القرآن ، وذلك بسبب المضامين

النصرانية في أوعية المصطلحات القرآنية - مثل « روح الله » و « كلمة الله » ! .

وتحدثت هذه البروتوكولات « عن التنصير بواسطة الكنائس المحلية في البلاد الإسلامية .. والعمالة المدنية الأجنبية .. وزرع النصرانية في الطلبة المسلمين الذين يدرسون في المجتمعات النصرانية ..

وباستغلال الكوارث التي يصنعها الغرب في العالم الإسلامي ، والتي تحل بتوازن ضحاياها - من اللاجئين والمشرّدين - فيتقبّلون النصرانية التي تُقدّم إليهم مقترنة بكسرة الخبز وجرعة الدّواء ! ..

كذلك ركزت « بروتوكولات قساوسة التنصير » على ضرورة اختراق المجتمعات الإسلامية من خلال المرأة المسلمة على وجه الخصوص .. حتى لقد جاء في هذه « البروتوكولات » - بالحرف الواحد - : « إن النساء هن المفتاح لزرع الكتاب المقدس في المجتمعات الإسلامية » ! .

وفي هذا المخطط المرسوم لاختراق الإسلام ومجتمعاته من خلال المرأة المسلمة تحدّثوا عن :

١ - « شمول جزء كبير من العمل التنصيري إنشاء المدارس لتعليم النساء وفق النموذج الغربي »

٢ - وضرورة « الهرب من الصراع الفكري المباشر بين الكتاب المقدس والقرآن » والتركيز على عوالم السحر والشياطين والعفاريت ، التي تؤمن بها النساء .. وذلك « لتقديم المسيح بديلاً نصرانيًا للتأثير الشيطاني الذي يُهاجم النساء ، وخاصة في المجتمعات الإسلامية » .

٣ - وضرورة « البحث عن النساء المعروفات بالتّدين ، أو الزعيمات في مجتمعاتهن ، للعمل من خلالهن على التنصير » .

٤ – وجعل تنظيم الأسرة ، وتحديد نسل المسلمين « ثمرة تالية للتعليم والرخاء » حتى لا ينفر المسلمون من الدعوة المباشرة لتحديد النسل « [انظر كتابنا [الغارة الجديدة على الإسلام] طبعة نهضة مصر سنة ٢٠٠٧ م] .

* * * *

هكذا خططت « بروتوكولات قساوسة التنصير » لاختراق الإسلام ومجتمعاته المسلمة من خلال المرأة والأسرة .. معلنة – بلا مواربة – : « إن النساء هن المفتاح لزرع الكتاب المقدس في المجتمعات الإسلامية » ! ..

الأمر الذي يستوجب :

١ – تسليح المرأة المسلمة بالوعي الإسلامي إزاء المخطط الذي رسمته هذه « البروتوكولات » ..

٢ – وزيادة جرعة « العقلانية الإسلامية المؤمنة » في الثقافة الإسلامية ، ومناهج التربية والتعليم ، كسلاح إسلامي لمحاربة الشعوذة والخرافة والسحر والشياطين ، التي يتوسل بها المنصرون للإيقاع بالمرأة المسلمة في حبائل التنصير ..

٣ – والابتعاد بأولادنا – وخاصة الفتيات – عن مدارس الإرساليات التنصيرية وجامعاتها ، تلك التي تتخفى وراء العلم والتعليم لمحاربة الإسلام ..

٤ – وتقديم النموذج الإسلامي لتحرير المرأة في مواجهة النموذج الغربي ، الذي شقيت وتشقى به النساء الغربيات أيما شقاء ..

٥ – وتقديم الثقافة الإسلامية ، التي تحرر المرأة بالإسلام ، في مواجهة المخططات التنصيرية والتغريبية التي تعمل على تحرير المرأة من الإسلام .. وفي مقابل العادات والتقاليد البالية التي تظلم المرأة باسم الإسلام .

لقد اعترفت « بروتوكولات قساوسة التنصير » بانحلال روابط الأسرة في المجتمعات الغربية ، وقالوا : « .. اليوم وعلى ضوء الواقع الحالي في تفكك الأسرة في مجتمعنا الغربي ، وارتفاع معدل الجرائم وحالات الطلاق ، والزيادة المستمرة في الانحرافات الجنسية ، لم يتبق لنا إلا القليل الذي نفخر به » .

لكنهم - بعد هذا الاعتراف - بدلاً من أن يتعلموا من الإسلام ، ونموذجه في احترام المرأة وتحريرها وبناء الأسرة وصيانتها ؛ استمروا في غيهم وضلالهم ، فقالوا : « .. وعلينا أن نُعيد تقويم موقعنا من المجتمع المسلم ، وعلاقة الكتاب المقدس بالمرأة المسلمة والأسرة » ! ..

نعم « فبدلاً من التعلم من الإسلام ، ونموذجه في تحرير المرأة وبناء الأسرة .. تراهم يبذلون الجهود وينفقون الأموال ويفنون الأعمار في تقديم « لاهوت الشياطين والسحرة والعفاريت » ، كمصيدة للإيقاع بالمرأة المسلمة في حبائل التنصير ! .. الأمر الذي يجعل من تحرير المرأة بالإسلام السبيل لتحريرها من مخاطر التنصير والمنصرين .

بهذه الحقائق تُقدَّم لهذا الكتاب [تحرير المرأة بين الغرب والإسلام] سائلين المولى - سبحانه وتعالى - أن ينفع به .. إنه خير مسؤل وأكرم مجيب .

د . محمد عمارة

القاهرة في ذي القعدة ١٤٢٩هـ
نوفمبر ٢٠٠٨م

مدخل عن قضية تحرير المرأة

منذ الاحتكاك الحضاريّ بين الغرب والعالم الإسلاميّ ، وخاصة إبان الغزوة الاستعمارية الحديثة – التي بدأت بحملة بونابرت [١٧٦٩ – ١٨٢١ م] على مصر [١٢١٣ هـ – ١٧٩٨ م] .. بدأ النموذج الحضاريّ الغربيّ – الوضعيّ .. الماديّ .. العلمانيّ – يخايل عقول قطاع من النخبة الإسلامية ، ليكون هو المرجعية في النهوض الإسلاميّ المنشود .

حدث ذلك في العديد من الميادين :

ففي مذاهب الحرية ، بدأت « الليبرالية الغربية » تجتذب انتباه – وانتماء – قطاع من المثقفين العرب والمسلمين ..

وفي القومية .. والوطنية – بمعناهما الغربيّ – بدأت شخصيات – بل وأحزاب – تسير في هذا الاتجاه .

وفي المذاهب الاجتماعية ، وفلسفات الأموال والثروات ، بدأت الرأسمالية اتجاهًا مختارًا للكثيرين ، بينما اجتذبت الاشتراكية – وحتى الشيوعية – أنظار آخرين .

وفي مكانة المرأة في المجتمع ، وعلاقات النساء بالرجال . أخذ قطاع عريض – من الرجال والنساء – يرى في النموذج الغربي البديل لما كانت عليه المرأة المسلمة في ظل حقبة تراجعنا الحضاريّ

تحت حكم المماليك والعثمانيين .

لكن قطاعًا كبيرًا من النخبة الإسلامية – ومعه جمهور الأمة – قد تحفظ على هذا النموذج الغربي في التقدم والنهوض ، ولفت الأنظار إلى تميز المرجعية الإسلامية ، في الموقف من المرأة ، عن « الواقع » البائس الذي انحدرت إليه المرأة في المجتمعات الإسلامية إبان عصر التراجع والجمود .

وفي قضية تحرير المرأة – تحديدًا – كان الرفض الإسلامي للنموذج الغربي حاضرًا وبارزًا في أغلب الأحايين .

فالجبرتي [١١٦٧ – ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ – ١٨٢٢ م] مؤرخ العصر الذي عاين النموذج الفرنسي في التعامل مع المرأة ، إبان الحملة الفرنسية على مصر ، قد نبّه إلى خطر وضرر هذا النموذج المنحلّ على منظومة القيم الإسلامية . فقال : « ومنها تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء . وهو أنه لما حضر الفرنسيون إلى مصر ، ومع البعض منهم نساؤهم ، كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفساتين والمناديل الحرير الملونة ، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصنوعة ، ويركبهن الجنون والحمير ويسقنها سوقًا عنيفًا ، مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكّارية معهم وخرافيش العامة

فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش، فتداخلن مع الفرنسيس، لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن وشدة رغبتهم في النساء، وخضوعهم لهن، وموافقة مرادهن، وعدم مخالفة هواهن، ولو شتمنه أو ضربنه بتاسومتها [نعلها] على قفاه !!.

وصار مع حكام الأخطاط [المربعات السكنية] منهم النساء المسلمات، متريات بريهم، ومشوا معهن في الأخطاط للنظر في أمور الرعية، والأحكام العادية، والأمر والنهي والمناداة، وتمشي المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأصنافها على مثل شكلها، وأمامها الفواسة [حاملو الأفواس] والخدم، وبأيديهم العصي، يفرجون لهن الناس مثل ما يمر الحاكم، ويأمرن وينهين في الأحكام.

ولما وفى النيل، ودخل الماء في الخليج، وجرت فيه السفن، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة، وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة، وصحبتهم آلات الطرب، وخدمة السفن، يكثرون من الهزل والمجون، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف بسخايف موضوعاتهم، وخصوصًا إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم،

فيصرحون بمحاكاة أنماط الفرنسيين في عدائهم [1].

وعبر الجبرتي - الذي رفض النموذج الفرنسي في التعامل المتحلل مع النساء - بمخالفته لمنظومة القيم الإسلامية - كان أعلام الإحياء والتجديد الإسلامي سائرين على ذات الطريق.

فعند رفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣م] كانت المرجعية الإسلامية في منظومة القيم حاضرة عندما كتب كتابه الرائد والفذ [المرشد الأمين إلى تربية البنات والبنين] ليدرس في بواكير المدارس المصرية التي أنشئت لتعليم البنات تعليماً وطنياً، بعيداً عن مدارس الإرساليات التبشيرية. وهو الكتاب الذي زاد فيه الحديث عن «عمل المرأة»، وليس فقط «تعليمها»، ورأى فيه أن عمل المرأة سبيل من سبل مكارم الأخلاق!

وكذلك كان الحال مع ما كتبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] عن تحرير المرأة وإنصافها، سواء في صحيفة «الوقائع المصرية» أو في «فتاواه» أو في تفسيره للقرآن الكريم، وهي الكتابات التي ضمنها [أعماله الكاملة]، والتي أفردنا لها كتاب [الإسلام والمرأة في رأي الإمام

(١) الجبرتي [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص ٣٠٣، ٣٠٤ طبعة القاهرة ١٩٦٩م

محمد عبده]

وعندما كتب قاسم أمين [١٢٧٩ - ١٣٢٦ هـ ١٨٦٣ - ١٩٠٨ م] ما كتب عن تحرير المرأة .. ودارت كبرى معارك الفكر في مصر والعالم الإسلامي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت المرجعية الإسلامية حاضرة وبارزة في كثير من الكتابات التي أسهمت في ذلك الحوار وخاصة تلك التي تمثلت في اجتهادات طلعت حرب باشا [١٢٩٣ - ١٣٦٠ هـ ١٨٧٦ - ١٩٤١ م] ومصطفى كامل باشا [١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م] وغيرهم من الكتاب .

فمع محاولة النموذج الغربي في تحرير المرأة بأبعاد متفاوتة عقول قطاع من النخبة العربية والإسلامية كانت المرجعية الإسلامية والنموذج الإسلامي لتحرير المرأة حاضرين وحاكمين فيما كتب علماء الإسلام ومفكروه في هذا الموضوع .

وفي الوقت الذي وقع فيه البعض في مشترك « العلو » سواء علو المبالغة في تصوير قضية المرأة وكأنها قضية القضايا وجماع التقدم والنهوض أو علو المبالغة في إنكار وجود قضية للمرأة أصلاً فإن قطاعاً عريضاً من علماء الإسلام ومفكريه قد اتخذوا الموقف الوسطي والموقع المتوازن من هذه القضية « لاجتماعية الفكرية » فقرروا

أن للمرأة المسلمة والشرقية قضية، لأنها حُملت من القيود أكثر مما حمل الرجال، سواء في الأرياف أو في واقعنا الحديث والمعاصر، وخاصة إبان عصور التراجع لحضارتنا الإسلامية. كما قرروا أن تحرير المرأة مرهون ومرتبط بتحرير الرجل، أي بتحرير الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه. ذلك أن جعل العرب معركة المرأة ضد الرجل، هو الذي صنع المأساة للمرأة العربية، التي أرادوا لها التحرر والتحرير.

كما قدر هذا القطاع العريض من علماء الإسلام ومفكريه أن شعارنا في هذه القضية هو: «تحرير المرأة بالإسلام، وليس تحريرها من الإسلام»!.

والآن، «قد انحازت أغلبية الأمة، رجالاً ونساء، إلى «الحل الإسلامي» في كل ميادين النهضة، ومنها ميدان إنصاف المرأة وتحريرها، ومع ظهور عوار النموذج الغربي لتحرير المرأة، الذي أمعن في العلو منذ سيادة فكر «ما بعد الحداثة» في ستينات القرن العشرين، بات لازماً تنبيه على مميزات منهاج الوسطية الإسلامية في تحرير المرأة وإنصافها، مقاراً بعلو النموذج الغربي، وثمرته المرة - في هذا الميدان.

❖ ❖ ❖ ❖

النموذج الأسدي في تحرير المرأة

في القرآن الكريم

علاقة النساء بالرجال في الإسلام هي علاقة المساواة لكنها مساواة «الشقين المتكاملين»، لا مساواة «الندين المتماثلين» وذلك حتى تدوم سعادة الجنسين بالتكامل ولا يحدث التنافر بسبب التماثل. وبها تتميز هذه المساواة في الإسلام عن نظيرتها في الفكر الغربي. وإذا نحن شئنا الإشارة مجرد الإشارة إلى بعض المعالم القرآنية التي تمثل سمات وقسمات النموذج الإسلامي في تحرير المرأة فإننا سنجد الكثير.

لقد سوّى الله، سبحانه وتعالى، في الخلق وفي الإنسانية بين المرأة والرجل، فخلقهما جميعاً من نفس واحدة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وأراد، سبحانه وتعالى، للعلاقة بين الرجل والمرأة أن تكون علاقة «المودّة» و«الرحمة» على النحو الذي تبلغ فيه المودة والرحمة إلى حيث تصبح الأنثى السكن الذي يسكن إليه الرجل، فتحقق بذلك سعادته وسعادتها في الحياة بل لقد جعل الله، سبحانه وتعالى، ذلك

« آية » من الآيات ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم ٢١]

وتحقيق هذه « الآية » لا يتأتى إلا مع المساواة التي تحقق المودة والرحمة، وإلا مع التمايز بين الأنوثة والذكورة الذي يحقق « السكن » و « التكامل »، ومن ثم السعادة لنوع الإنسان.

وجاء الخطاب الإلهي عامًّا للمرأة والرجل، وكذلك التكليف، تأكيدًا للمساواة بينهما في الأهلية، أهلية حمل أمانات التكليف ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٥] ولكمال المساواة في « أهلية التكليف »، كان كمال المساواة في « الحساب والجزاء » على التكاليف والأمانات التي استوى النساء والرجال في حملها ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل ٩٧]

ولم يقف أمر المساواة بين المرأة والرجل، عند الفروض والتكاليف

« الفردية » العينية » بل شمل، كذلك، أغلب فروض الكفايات
الفروض الاجتماعية التي يتوجه الخطاب والتكليف فيها إلى الأمة
وذلك تأكيداً على أهلية المرأة مع الرجل في تكوين بنات الجماعة
للنهوض « بالعمل العام » وإذا كانت فروض « الكفاية
الاجتماعية » [illegible] بعض [illegible] بعض
يكون رجالاً، وقد يكن نساء، وقد يكونون نساء ورجالاً، فيجزي
المرأة عن الرجل، ويجزي الرجل عن المرأة في القيام بهذه التكاليف
ولما كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي جماع
العمل العام في الحياة الإسلامية، ومنها تتفرع كل الفروض
« الكفائية الاجتماعية »، نص القرآن الكريم على مساواة النساء
للرجال في التكليف بها ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١]

وحتى لا ينشأ في العقل المسلم [illegible] بالمنهاج القرآني [illegible]
تناقض بين « المساواة » و« التمييز » في علاقات النساء [illegible]
قرن القرآن الكريم بين الأمرين « المساواة » و« التمييز » في آية
واحدة من آياته – فقال سبحانه ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

وفي تفسيره « للمساواة » بين المرأة والرجل التي نصّت عليها الآية ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] يقول الإمام محمد عبده: « هذه كلمة جليلة جدًّا، جمعت على إيجازها ما لا يؤدّى التفصيل إلا في سفر كبير، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق، إلا أمرًا واحدًا عبّر عنه بقوله: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقد أحال في معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشرتهن ومعاملاتهن في أهليهم، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعباداتهم.

فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانًا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشئون والأحوال، فإذا هم بمطالبتها أمر من الأمور ليتركن له يجب عليه مثله بإزائه، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، بهذه الآية.

وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها، وإنما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة، وأنهما أكفاء، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله بها، إن لم يكن مثله في شخصه، فهو مثله في جنسه، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما

متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل، أي أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ويكره ما يلائمه ويفر منه، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذه عبداً يستبدله ويستخدمه في مصالحه. ولا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه. هذه الدرجة التي رفع النساء إليها، لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده.

لقد خاطب الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحات في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال، وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن، وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة، وبايع النبي ﷺ المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم، وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن في الدنيا والآخرة.

والآية ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر ما لم يخل العرف حراماً، ويحرم حلالاً مما عرف بالنص، والعرف يختلف باختلاف الناس والأزمنة. هذا عن شق «المساواة» بين المرأة والرجل،

الذي نصت عليه الآية الكريمة ..

وفي نسق ثاني شق « التمييز » بين الأنوثة والذكورة ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ فإن الإمام محمد عبده يقول في تفسيره لهذه « الدرجة » « القوامة » وأما قوله تعالى ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ فهو يوجب على المرأة شيئاً وعلى الرجال أشياء ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح، المفسرة بقوله تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]

إن الحياة الزوجية حياة اجتماعية، ولابد لكل اجتماع من رئيس، لأن المجتمعين لابد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف لئلا يعمل كل ضد الآخر فتنقصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف.

إن المراد بالقيام «القوامة» هنا هو الرئاسة التي يتصرف فيها المرؤوس بإرادته واختياره، وليس معناها أن يكون المرؤوس مقهوراً مسلوب الإرادة لا يعمل عملاً إلا ما يوجه إليه رئيسه.

إن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن..».

ويشير الإمام محمد عبده إلى ضرورة التمييز بين النساء حسب الكفاءة ومستوى التربية ودرجة الصلاح، فيقول في تفسير قول الله سبحانه ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤] «إن هذا القسم من النساء ليس للرجال عليهن شيء من سلطان التأديب، وإنما سلطانهم على القسم الثاني، الذي بينه وبين حكمه بقوله عز وجل ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ [النساء: ٣٤] ثم يختم تفسيره للآية بتحذير الرجال من الخروج، بالاستبداد، عن هذا المنهاج القرآني، فيقول: «واعلموا أن الرجال الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة في بيوتهم إنما يلدون عبيداً لغيرهم!» (١)

وهذا الذي حذر منه، هو الذي أصاب الأمة، عندما تراجعت عن

---

(١) [الأعمال الكاملة] ج ٤ ص ٦٠٦ - ٦٠٧، ج ٥ ص ٢٠٢، ٢٠٣

النموذج الإسلامي لتحرير المرأة ، فقادها ذلك إلى التراجع عن الحرية للرجال والنساء جميعًا ! ..

فالقوامة هي « التميز » ، لا تعني « المساواة » ، وإنما يجعلها « مساواة الشقين المتميزين » ، لا « الشقين المتماثلين » فيكون معها « التكامل » لا « التنافر » . فهي مسئولية « القيادة » في الميادين التي أهلت الذكورة الرجل للقيادة فيها . فكأنها نوع من المسئولية المؤسسة على « تقسيم العمل » بين الذكورة والأنوثة ، بما يتفق مع فطرة الخلق لكل منهما . ولذلك فهي لا تعني قيادة المرأة في الميادين التي أهلتها الأنوثة لتكون قائدة فيها . ونص حديث رسول الله ﷺ ، فإن المرأة « راعية » في ميادين ، كما أن الرجل « راعٍ » في ميادين : « كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسئولٌ عنهم ، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبدُ الرجل راعٍ على بيت سيده وهو مسئولٌ عنه . ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته » (١)

لقد حرر الإسلامُ المرأة ، وحدَّد القرآن معالم النموذج الإسلامي لتحريرها ، فسوّى بينها وبين الرجل في الخلق

---

(١) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد

والإنسانية والكرامة ومناط التكليف وملكاته والجزاء والحساب ، مع التمييز بين الأنوثة والذكورة ، حفظاً للتمييز وتكامل الفطرة التي فطر الله عليها النساء والرجال ، ليكون التكامل الدعوة الدائمة لتحقيق سعادة النوع الإنساني .

❁ ❁ ❁ ❁

في السنة النبوية

وقد جاءت السنة النبوية لتجسد هذا المنهاج القرآني في تجربة عصر البعثة وصدر الإسلام، وذلك عندما حققت المرأة المسلمة هذا النموذج الإسلامي في التحرير.

فبدأت الاستجابة للرسالة الخاتمة بامرأة السيدة خديجة رضي الله عنها، بل لقد مثلت «كل» أمة الاستجابة حسًّا من أبي هريرة فخر الإسلام! وكانت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر طليعة شهداء الإسلام، وكانت أسماء بنت أبي بكر ثالثة ثلاثة ائتمنوا على أخطر التحولات التي غيرت مجرى الدعوة الإسلامية هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، بل أسهمت في التدبير لها والتنفيذ!..

وفي بيعة العقبة التي مثلت «الجمعية التأسيسية لإقامة الدولة الإسلامية الأولى» شاركت المرأة الرجال في إبرام التعاقد الدستوري والعقد الاجتماعي بإقامة الدولة، فكانت أم عمارة، نسيبة بنت كعب الأنصارية، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي الأنصارية، فيمن شارك في عقد تأسيس الدولة الإسلامية[1].

---

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٣٢ [illegible] ابن عبد البر [illegible] في [illegible] [illegible] ص ٧٩ [illegible] د. شوقي ضيف [illegible] طبعة القاهرة [illegible]

ولم تعد المرأة جزءاً من سقط المتاع، ينوب عنها الرجل في شئون العامة، وإنما أصبحت لها شخصيتها المستقلة في الذمة المالية، والاستثمار للأموال، بالتنمية والإنفاق، وفي الاختيار للزوج، والرعاية للبيت والولد، وفي مختلف ألوان المشاركة في العمل الإسلامي الاجتماعي والعام.

قد عدت جزءاً أصيلاً من «الأمة»، وعضواً حيّاً مشاركاً في شئون «الناس»، وعندما يصعد الرسول ﷺ المنبر، وينادي «أيها الناس [illegible]» [illegible] جاريتها تمشط لها شعرها، تطلب إلى جاريتها أن تجمع لها أطراف شعرها، لتسرع إلى المسجد، ملبية نداء النبي ﷺ: «أيها الناس»

فلما قالت لها الجارية: «إنما دعا الرجال ولم يدع النساء»[1] تقول أم سلمة: «إني من الناس ...»(١).

وكذلك يروى مسلم عن فاطمة بنت قيس، رضي الله عنها، عندما تسارع إلى المسجد، ملبية نداء منادي رسول الله ﷺ: «الصلاة جامعة»، كي تستمع الأمة إلى رسول الله.

ويروي البخاري مشاركة حفصة، رضي الله عنها، الرأي في أمر

---

(١) رواه مسلم. وانظر كتاب [تحرير المرأة في عصر [illegible] محمد – ج٢ ص٤٢٩ طبعة الكويت ١٤١٠هـ

الخلافة وما ثار بين علي ومعاوية من شقاق بعد مقتل عثمان .
وطلبها من أخيها عبد الله بن عمر حضور التحكيم في « دومة
الجندل » بعد صفين ، وقولها له : « إنه لا يحمل لك أن تتخلف
عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد وأنت ظهر رسول الله ﷺ
وابن عمر بن الخطاب » (١) .

ويروي البخاري كيف كانت شورى أم سلمة رضي الله عنها ، يوم
الحديبية ، ذات الذي فتح الله على المسلمين به طاعة رسول الله
ﷺ ، فتحللوا من إحرامهم ، ورضوا بما عاهد عليه نبيهم ، بعد أن
ظنوا أن المعاهدة قد جارت على ما يستحقون ، فمنع الله بشورى
أم سلمة الفتنة عن المسلمين في الشأن السياسي العام .

بل إن وقائع سيرة التجربة الإسلامية ، في عصر البعثة ، تحكي عن
عمل نسائي جماعي ، جدير أن يكون نموذجه نقطة الاستلهام
والاقتداء للحركات النسائية الإسلامية على مر التاريخ ، وذلك حتى
تكون هذه الحركات ودعواتها إسلامية حقًّا .

ففي يوم خيبر ، خرجت « جماعة » من نساء المؤمنين إلى ميدان
القتال ، فبلغ أمر خروجهن رسول الله ﷺ ، فأرسل إليهن وسألهن

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، وتحرير المرأة في عصر الرسالة ج ٢
ص ٤٣٣

« مع من خرجتن ؟ وبإذن من خرجتن ؟ » .

فقلن : يا رسول الله ، خرجنا نغزل الشعر ، ونعين في سبيل الله ، ومعنا دواء للجرحى ، ونناول السهام ، ونسقي السويق [شراب الحنطة والشعير] .

فقال : « فمن » حتى إذا فتح الله عليه خيبر أسهم لنا كما أسهم للرجال » (١) ! .

فنحن أمام « جمعية نسائية » ، خرجت إلى ميدان القتال ، لأداء العديد من المهام ، ومنها مهام قتالية « مناولة السهام » ، ولقد كان سؤال رسول الله ﷺ لهن ، بسبب خروجهن وحدهن ، فلم يكن يسأل المرأة عندما تصحب زوجها إلى ميدان القتال ، بل كان هذا شأن أمهات المؤمنين . .

وأسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها ، وكانت إحدى أبرز خطيبات النساء في عصر النبوة ، تذهب إلى رسول الله ﷺ ، لتحدثه بالنيابة عن « جمعية نسائية » ولتعرض عليه ما اتفق عليه ، فتقول : « إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين ، يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي ؟! إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك وبعثك ، ونحن ،

(١) رواه أبو داود عن حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه

معشر النساء، مقصورات مخدرات قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات أولادكم، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه وقال لهم: أسمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟ فقالوا: لا، يا رسول الله، فقال ﷺ: انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حُسْن تبعُّل إحداكن زوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته تعدل كلَّ ما ذكرت»!(١)

ويروي البخاري عن أبي سعيد الخدري: كيف تجمعت النساء، ثم ذهبن إلى رسول الله ﷺ، فخاطبته قائلات: يا رسول الله، «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن الرسول يوماً، لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن»!.

وكانت المرأة تجادل رسول الله ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]

بل وكان النساء يختصمن مع الرجال في الشئون العامة، دينية

(١) رواه الإمام أحمد.

وديوانه. فلقد «اختصم الرجال والنساء، أيهم في الجنة أكثر»[1]

وذهبوا وذهبن إلى رسول الله للفصل فيما اختصموا فيه.

أما نسيبة بنت كعب الأنصارية التي شاركت في عقد تأسيس الدولة الإسلامية بالعقبة، وقاتلت في أحد وفي غيرها من الغزوات فقاتلت الأبطال، فإنها تذهب إلى رسول الله ﷺ، بمطالب نسائية، فتقول: «ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء؟!» فينزل الوحي على رسول الله ﷺ يقول الله، سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٥[2]

ولقد روت الكثير من الأحاديث خروج النساء مع المقاتلين، وإسهامهن في إعانة المقاتلين، بل ومشاركة بعضهن في القتال. ولقد طلبت أم حرام من الرسول أن يدعو لها كي تكون من غزاة البحر،

(١) رواه الإمام أحمد

(٢) رواه الترمذي.

وسبحانه الله بدعائه لها بذلك [1] - كما شاركت نسيبة بنت كعب الأنصارية في بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكانت البيعة على « الحرب والقتال » .. وهي البيعة التي نزل فيها قول الله، سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح ١٠] ، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح ١٨]

وكما لم يبت الرجال عن النساء في البيعة لرسول الله ﷺ، وإنما استقلت شخصية المرأة، فبايعت الرسول مثل الرجال، فلقد فتحت هذه البيعة أمام المرأة باب الترقي فيما تمارس من الشئون الاجتماعية والعامة، بقدر ما تنمو وترقى بها الملكات والإمكانات التي تؤهلها للمشاركة في هذه الشئون. ففي الحديث الذي رواه ابن ماجه يقول الصحابية أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها: « جئت النبي ﷺ في نسوة نبايعه، فقال لنا: فيما استطعتن وأطقتن » .. أي أن هذا « التحرير الإسلامي للمرأة » قد فتح أمام ممارساتها وسهاماتها الآفاق، ولم يقف بها عند قدر بها في ذلك التاريخ، أو في مرحلة من مراحل التاريخ، فلقد بايعهن الرسول ﷺ على ما يستطعن ويطعن من المعروف [1]

هكذا كان « التحرير الإسلامي للمرأة »، والذي حقق للمرأة

(١) رواه البخاري ومسلم

المساواة الكاملة في الخلق والإنسانية، وأتاح لها، وكثيراً ما أوجب عليها، المشاركة في الشأن الاجتماعي العام، مع الحفاظ على تميز الأنوثة عن الذكورة، كي لا تتشوه الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

* * * *

ذلك هو مذهب الإسلام في مكانة النساء من الرجال. فلقد مثل ثورة تحريرية للمرأة، وحقق لها كامل المساواة في الخلق، والكرامة والتكريم، والإنسانية، والتكليف، والحساب، والجزاء، وكامل المشاركة في العمل العام، دون تفريط، بل ومع الحرص على فطرة تمايز الأنوثة عن الذكورة. فالمساواة لا تنافي التمايز في توزيع العمل والاختصاص، والتمايز في توزيع العمل لا ينفي المساواة. ذلك أن هذه المساواة هي مساواة «الشقين المتكاملين» وليست مساواة «النِّدَّين المتماثلين .. والمتنافرين».

* * * *

أما ما حدث بعد عصر صدر الإسلام، من تراجع لهذا المنهاج الإسلامي، سواء بسبب ما أدخلته الفتوحات الإسلامية إلى الدولة الإسلامية من عادات وتقاليد، حسبت بمرور الزمن على أنها [illegible] إلى بعض المذاهب الفقهية، أو من [illegible] العادة ببعض العادات والأعراف الجاهلية في بعض البيئات الإسلامية. فإن

الإسلام هو الحجة على كل ذلك، وليس في أي من ذلك حجة على منهج الإسلام، الذي جاء به البلاغ القرآني، ووضعه في الممارسة [illegible] سوى [illegible] بهذا البلاغ [illegible] أغلب هذه العادات في التقاليد إلى «فكر» بعض الفقهاء [illegible] في عصور التقليد والمراجع الحضارية [illegible] سد الذرائع» [illegible] الأمر الذي يدعو إلى الحذر من مخاطر ومزالق التوسع في إعمال هذه القاعدة دون ضابط أو ضرورة أو مرجح [illegible] كل ما يمكن أن يكون سبيلاً للفتنة أو المعصية أو الضرر يجوز تحريمه، بحجة سد الذرائع، وإنما لا بد من تحقيق قيام العلاقة بين المقدمات والنتائج [illegible] ولو لم يصنع ذلك لحرم شرب الماء حتى لا يحدث الشرق به! [illegible] لأنها أداة الكذب! [illegible] من أعضاء التناسل لأنها أداة الزنا!!

[illegible] الأمور [illegible] لا [illegible] على منهج الإسلام في المساواة بين النساء والرجال [illegible]

(١) [illegible] الإسلام في تحرير المرأة [illegible] الإسلامي للمرأة [illegible] على شبهات الغلاة [illegible] القاهرة

النموذج الغربي لتحرير المرأة

بين تحرير من ظلم .. وتحرير من غطرسة

إنّ الفارق بين الدعوة إلى تحرير المرأة وإنصافها، والحركات التي عملت على هذا التحرير والإنصاف، سواء في البلاد العربية أم الشرقية - وبين النزعة الأنثوية المتطرفة Feminism التي تبلورت في الغرب في ستينيات القرن العشرين، والتي تقلّدها قلّة قليلة من النساء الشرقيات - إنّ الفارق بين هاتين الدعوتين والحركتين وفلسفتهما ومطالبهما، هو الفارق بين العقل والجنون!.

فأقصى ما طمحت إليه دعوات تحرير المرأة وحركاتها، هو إنصافها، ورفع الغبن الاجتماعيّ والتاريخيّ الذي لحق بها، والذي عانت منه أكثر كثيراً مما عانى منه الرجال - إنصافها، مع الحفاظ على فطرة التمايز بين الأنوثة والذكورة، وتمايز توزيع العمل وتكامله في الأسرة والمجتمع، على النحو الذي يحقق مساواة الشقين المتكاملين بين الرجال والنساء - وذلك حفاظاً على شوق كل جنس إلى الآخر، واحتياجه إليه، وأُنسه بما فيه من تمايز، الأمر الذي بدونه لن يسعد أي من الجنسين في هذه الحياة.

ولقد كانت الدعوة العربية إلى تحرير المرأة - منذ القرن التاسع عشر - أثراً من آثار الحداثة الغربية، التي أرادت تجاوز التراث الفلسفيّ والاجتماعيّ والقانونيّ العربيّ، المعادي للمرأة والمحقّر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وإطلاق! وسعت إلى عالم تتمحور فيه الأنثى حول ذاتها، مستقلة استقلالاً كاملاً عن عالم الرجال. وفي سبيل تحقيق ذلك، دعت إلى الشذوذ السحاقي بين النساء، وإلى «التحرر الانحلالي» وبلغت في الإغراب مبلغاً لا يعرف الحدود! الأمر الذي جعل هذه النزعة الأنثوية المتطرفة كارثة على الأنوثة، وما لا على المرأة، وعلى الاجتماع الإنساني بوجه عام، بل وجعلها إذا انتصرت وعمت مهددة للوجود الإنساني نعم، حتى للوجود الإنساني ذاته!

وكي لا يظن الذين لا يعلمون أن هذه مبالغة في التسوية، وكي لا تدع مجالاً لتسوية المموهين، فيكفي أن نقدم نماذج شاهدة، ومعبرة من مقومات وشعارات فلسفات هذه الحركات الأنثوية المتطرفة.

فأولى النزعة الأنثوية الفرنسية الاشتراكي الفرنسي «فورييه» [١٧٧٢ - ١٨٣٧ م] قد دعا إلى «تحرير المرأة على كل الأصعدة: النسبي والمهني والمدني والجنسي، وقال إن العائلة تكاد تشكل سداً في وجه التقدم»!.

وفيلسوف هذه النزعة «ماركيوز هربرت» [١٨٩٨ - ١٩٧٩ م] قد جعل من أسس «الطريقة النقدية» «التأكيد على العناق الغرائز الجنسية، وإطلاق الحرية الجنسية بلا حدود، سواء من ناحية الكم أم الكيف، أي حتى حرية الشذوذ، بل وتمجيده، باعتباره ثورة وتمرداً

ضد قمع الجنس، وضد مؤسسات القمع الجنسي. معتبرًا التحرر الجنسي عنصرًا مكملاً ومتممًا لعملية التحرر الاجتماعي، ورافضًا ربط الجنس بالتناسل والإنجاب»!.

كما رفضت هذه النزعة ربط الممارسة الجنسية بالأخلاق، فقال «فوكو ميشيل» [١٩٢٦ - ١٩٨٤م] «لماذا يجعل السلوك الجنسي مسألة أخلاقية، ومسألة أخلاقية مهمة؟!»

أما فيلسوفة هذه النزعة الأنثوية الكاتبة الوجودية «سيمون دي بوفوار» [١٩٠٨ - ١٩٨٦] فلقد اعتبرت «الزواج السجن الأبدي للمرأة، يقطع آمالها وأحلامها» واعتبرت «مؤسسة الزواج مؤسسة تقهر المرأة، يجب هدمها وإلغاؤها» «وأنكرت أي تمييز طبيعي للمرأة عن الرجل» «فلا يولد المرء امرأة، بل يصير كذلك وسلوك المرأة لا تفرضه عليها هرموناتها ولا تكوين دماغها، بل هو نتيجة لوضعها..»

وجعلت من الدين ومن الألوهية عدوًّا لهذه الفلسفة الأنثوية «فالدين برأيها كان محايدًا عندما لم يكن للآلهة جنس، ثم انحاز الدين للمرأة عندما أصبحت الآلهة إناثًا، ثم تحوّل إلى عدوّ للمرأة بسبب التفسيرات الذكورية للدين»!.

ولقد نجحت هذه الحركات الأنثوية الغربية في الضغط على

المؤسسات الدينية الغربية، تلك التي حاولت رسالتها، حتى أصدرت في سنة ١٩٩٤ م، طبعة جديدة من العهدين القديم والجديد، سميت «الطبعة المصححة»، تمّ فيها تغيير المصطلحات والضمائر المذكّرة، وتحويلها إلى ضمائر محايدة! ..

ولقد تبلورت بهذه النزعة الأنثوية المتطرفة معالم فلسفتها التي تُقرّر «أنّ المرأة مالكة لجسدها، وحرة فيه، تتصرف فيه جنسياً مع من تشاء، ووفق ما تشاء، بما في ذلك حرية التصرّف في الجنس بالإجهاض، لأنه جزء من جسدها، فالتعبير الحرّ عن الجنس هو جزء من الحرية، حتى لو اتخذ شكل الشذوذ السحاقي، وحتى لو اتخذ شكل احتراف البغاء، طالما خلا هذا الاحتراف البغاء من الاستغلال التجاريّ! ..

كما تُقرّر هذه الفلسفة «أنّ العبرة عاطفة رجولية ينبغي التخلّص منها»، «وأنّ الحياء مرض يجب العلاج منه»، و«أنّ العفّة تخلّف وكتبٌ للحرية الجنسية»! ولا بدّ من تجريد الحبّ من أية ضوابط .. باستثناء العاطفة والشهوة.

ورأت هذه الفلسفة في «الأمومة» قوالب جامدة وجائرة، لأنها تحقق للمرأة عائداً مادياً»! ..

ورأت في «الإنجاب» عبودية للمرأة، تسميها «سيمون دي

بوفوار » : « عبودية التناسل » ! .

ودعت هذه الفلسفة الأنثوية إلى « حرية الاقتران ، وحرية الافتراق في أي لحظة ، وذلك بين أي فردين : مثلين أو مختلفين ! » وإلى جعل « تربية الأطفال مسئولية الدولة والمجتمع ، لا المرأة والأسرة » !

ووصلت هذه النزعة إلى الحد الذي قامت فيه منظمة أنثوية أمريكية اسمها « حركة تقطيع أوصال الرجال »

* * * *

وإذا كانت هذه الفلسفات والأفكار والدعاوى قد بلغت في الإعراب الشاذ والشذوذ الغريب هذا الحد الذي رأيناه ، فإن الأمر الأكثر شذوذاً وإعراباً ، هو السيطرة والانتشار اللذان حققتهما هذه النزعة الأنثوية المتطرفة في المجتمعات الغربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين .

فـ ٦٠ ٪ من أعضاء المنظمات الأنثوية في أمريكا سحاقيات ! وهذه المنظمات الأمريكية وأمثالها في الغرب هي المسيطرة على لجنة المرأة في الأمم المتحدة ، ومن خلالها فرضت وتفرض شذوذها الفكري والسلوكي على العالم أجمع ، من خلال المواثيق « الدولية » التي تعولم تحت علم مؤتمرات المنظمة الدولية ، من

وثيقة مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤ م، إلى وثيقة مؤتمر بكين سنة ١٩٩٥ م، إلى وثيقة مؤتمر المرأة سنة ٢٠٠٠ م، إلى وثيقة الطفل ووثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW).

وكما تقول الأستاذة الأمريكية «كاثرين فورث»: «إن المواثيق والاتفاقات الدولية التي تخصُّ المرأة والأسرة والسكان تضاع لأن في وكالات ولجان تسيطر عليها فئات [illegible] والأنظمة المتطرفة، و[illegible] الإنجاب والسكان و[illegible] لجنة المرأة في الأمم المتحدة شكلتها امرأة سكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح، ورفض الأسرة، وكانت تعتبر [illegible] الحرية الشخصية لا بد أن تكون مطلقة. وقد انعكس هذا المفهوم «للحرية» في المواثيق التي صدرت عن هذه اللجنة، فالتوقيع على اتفاقية (CEDAW) يجعل معارضة [illegible] حتى لو رسم كاريكاتوري عملاً يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، تكون هذه المعارضة معارضة لحقوق الإنسان»!.

ويعتبر الأستاذ الأمريكي «ريتشارد ويلكر» «أن بموجب اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل، فإن للأطفال حرية التعبير، وحرية التعبير الجنسي [illegible] الحق [illegible] في ممارسة الجنس مع الكبار لا ينتهك حقوق الأطفال فحسب، بل ينتهك

حقوق الكبار أيضاً. ولقد أصبح الاعتراف القانوني بحرية الشذوذ الجنسي شرطاً من شروط الدخول إلى الاتحاد الأوروبي، وهو ضمن الشروط المطلوبة من الدول المسلمة بحقيقة »!

ولقد سارت مظاهرات في عواصم الغرب تندد بمصر لمحاكمتها بعض الشواذ، وطالبت برلمانات عدة في تلك العواصم، وخاصة في أمريكا وألمانيا، بقطع المعونات عن مصر بسبب ذلك الموقف من الشذوذ والشواذ!.

ووفق هذه المواثيق التي فرضتها هذه الحركات الأنثوية المتطرفة على العالم، أصبح من حق المراهقين والمراهقات ممارسة الشذوذ الجنسي، والإتيان بالرفقاء والرفيقات إلى المخادع، تحت سمع وبصر الوالدين. ومن يعترض يمكن محاكمته قانونياً في البلاد التي صدقت على اتفاقية CLDAW، فنحن أمام دين جديد لقوم لوط الجدد! وكما يقول البروفيسور الأمريكي « ولكنز »: « فإن المجتمع الغربي قد دخل دوامة الموت، ويريد أن يجر العالم وراءه »!.. وكأنما شعارهم يقول ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦].

❁ ❁ ❁ ❁

فرض شذوذ فكري على العالم

يعجب المرء ذو الثقافة الشرقية والتراث الفكري والحضاري الإسلامي، من هذا الانتشار الذي حققته الحركة الأنثوية المتطرفة في المجتمعات الغربية. ومن شيوع هذا الخمول الانحلالي الذي نشرت به ودعت إليه هذه الحركة، حتى إن نسبة السحاقيات في (المنظمة الوطنية للنساء) بأمريكا، وهي أكبر المنظمات النسائية، تصل إلى ٦٠ % من عضواتها!..

ويتزايد عجب المثقف الشرقي من تحول هذه النزعة الشاذة فكرياً وسلوكياً إلى قسمة بارزة في مشروع الهيمنة الغربية على العالم. فحرية الشذوذ عدت جزءاً أصيلاً من المفاهيم العالمية لحقوق الإنسان، يفرضها الغرب على العالم، والحرية الجنسية عدت كذلك جزءاً من حق الإنسان في الحرية.

بل إن السحاقيات قد سيطرن على لجنة المرأة في الأمم المتحدة، وبدأت مرحلة عولمة هذه الفلسفة الفوضوية الشاذة في مواثيق دولية، يفرضها مشروع الهيمنة الغربية على العالم، وتقوم بعولمتها لجنة علم الأمم المتحدة. ويكفي أن نشير إلى أن الوفود النسائية الغربية إلى المؤتمر الدولي للسكان الذي انعقد بالقاهرة سنة ١٩٩٤م قد ضمت جمهوراً من الشاذين والشاذات الذين جاءوا لتنظيم

في شوارع القاهرة الإسلامية، للدعوة إلى حرية الشذوذ، ولم يمنع تظاهرهم إلا الخوف على حياتهم من جمهور المسلمين المصريين. وإذا كانت هذه الوفود الأنثوية المتطرفة، قد منعت من التظاهر في شوارع القاهرة، فلقد نجحت في أن تضمن وثيقة الصادرة عن المؤتمر الكثير من معالم هذه النزعة الشاذة في مفاهيم الحرية وحقوق الإنسان.

فدعت هذه الوثيقة بإلحاح إلى «تغيير هياكل الأسرة» أي إلى مصادمة الفطرة التي فطر الله البشر عليها، والتي اجتمعت عليها الديانات السماوية والوضعية، وكل الثقافات والحضارات وذلك حتى تقنن «الأسر» الشاذين والشاذات، و«أسر» الالتقاء الحر بين «الأفراد». وجاء في هذه الوثيقة «والحكومات، والمنظمات الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التمويل، والمؤسسات البحثية مدعوة بإلحاح [لاحظ «بإلحاح»] إلى إعطاء أولوية [لاحظ «أولوية»] للبحوث الحيوية [لاحظ «الحيوية»] المتعلقة بتغيير هياكل الأسرة».

وبدلاً من الجنس الشرعي والمشروع والحلال، دعت هذه الوثيقة إلى تقنين الحرية الجنسية «الممنوعة» كحق من حقوق الجنس، يتمتع بها كل الناشطين جنسياً من كل الأجناس والأعمار، ذكراناً

وإناثًا، حتى [illegible] والمراهقين والمراهقات [illegible] «فالصحة [illegible]
التي هي [illegible] من [illegible] الجنسية المأمولة [illegible] هي حق لجميع
الأفراد» [لاحظ «الأفراد» وليس «الأزواج»] [illegible] و«ينبغي أن
تسعى جميع [illegible] إلى [illegible] رعاية صحية [illegible] لجميع
الأفراد، من جميع الأعمار.. للبنات [illegible] المراهقات
وتلبية الحاجات [illegible] للمراهقين كيما يتمكنوا من
التعامل مع نشاطهم الجنسي بطريقة إيجابية ومسئولة [illegible] وينبغي أن
تكون برامج الرعاية الصحية [illegible] والجنسية [illegible]
احتياجات المرأة [illegible] المراهقة [illegible] المراهقين والرجال
والبنين والمراهقات [illegible] وإرشاد [illegible] ويجب [illegible]
الخدمات بدقة، وعلى الخصوص نحو حاجات [illegible]
والمراهقين. فالمراهقون [illegible] جنسيًا يحتاجون [illegible]
المعلومات والمشورة والخدمات فيما يتعلق [illegible]
المراهقات اللاتي يحملن يحتجن إلى دعم خاص من [illegible]
ومجتمعهن المحلي خلال فترة الحمل [illegible]»
فإلى جانب [illegible]
الأنثوية المتطرفة سحبًا للمرأة، وقيدًا على حريتها [illegible] «أشكال
الاقتران الأخرى» [illegible] وثيقة إلى [illegible] وهناك

« الثورة الجنسية » التي [illegible] النشاط الجنسي، لكن النشاطين جنسيًّا، من كل الأعمار، بشرط أن يكون مسئولًا، لا يفضي إلى الأمراض – وليس مهمًّا أن يكون شرعيًّا ومشروعًا.

وإذا كان « الزنا المبكر » للمراهقين والمراهقات [illegible] وحتى للأطفال، هو حقًّا من حقوق الجسد الإنساني، [illegible] هذه الوثيقة التي فاقت وتفوقت على قوم لوط [illegible] فلقد ذهبت في الشذوذ إلى الحدّ الذي حرّمت فيه « الزواج المبكر »! فقالت: « إنّ الهدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة [illegible] وعلى الحكومات أن تزيد السن الأدنى للزواج حينما تقتضي الأمر، ولاسيما بإتاحة بدائل تغني عن الزواج المبكر »!

فالتحريم هو للزواج المبكر [illegible] وليس لهذا الزواج المبكر هو النشاط الجنسي المسئول، لكن النشاطين جنسيًّا من كل الأعمار.

وعلى درب مصادمة الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، والتي [illegible] وسعادت بها الإنسانية عبر تاريخها، على اختلاف [illegible] والثقافات والحضارات [illegible] فطرة تكامل عمل المرأة والرجل في الأسرة والمجتمع [illegible] ذهبت وثيقة مؤتمر السكان إلى إدانة عمل المرأة في الأسرة، لأنها « أنشطة اقتصادية غير مدفوعة الأجر تضطلع بها المرأة في الأسرة »! وفي ذات الوقت دعت هذه الوثيقة « إلى اشتراك المرأة

في جميع جوانب الإنتاج، والعمالة، والأنشطة المدرة للدخل»، بل دعت إلى دمج الرجل في المنزل، ودمج المرأة في المجتمع، فقالت هذه الوثيقة: «ويتعين على الزعماء الوطنيين والمجتمعيين أن يشجعوا مشاركة الرجل الكاملة في حياة الأسرة، بما في ذلك تنظيم الأسرة وتربية الأطفال والعمل المنزلي، ودمج المرأة بشكل تام في الحياة المجتمعية، مع تحققها من مسئوليات العمل المنزلي»[1].

نعم، يعجب المرء ذو الثقافة الشرقية والتراث الفكري والحضاري الإسلامي، من سيطرة هذا الشذوذ الفكري والسلوكي على المجتمعات الغربية، وهي مجتمعات [illegible] العباقرة والعقلاء والحكماء، ومن تمكن الحركات الأنثوية المتطرفة من بعث وتقنين مذهب اللذة والشهوة، والسعي إلى عولمته، وفرضه على العالم، كجزء من حقوق الإنسان لكن [illegible]، وهذا من باب التفسير لا التبرير. إن تراث الحضارة الغربية في هذا الباب كان عونًا لهذه النزعة الأنثوية المتطرفة على الإغراق والإغراب في هذا [illegible]، واختلاف هذا التراث الغربي في مذهب اللذة عن تراثنا الشرقي والإسلامي في العفة، هو الذي يصيب العقل الشرقي والإسلامي بها، بقدر من الاستغراب والتعجب إزاء هذه الأفكار وهذا السلوك.

إن للغرب تراثًا قديمًا في مذهب اللذة والإباحية والشذوذ، عرف

واشتهر منذ الفيلسوف اليوناني « أبيقور » [٣٤٣ - ٢٧٠ ق. م] الذي أعلن أن « الخير هو اللذيذ ... وأي فعل يعتبر خيرًا بمقدار ما يحقق لنا من لذة » [1].

وقد أدرك حماد الدين الأفغاني [٢٥٤ - ٣١٤ هـ / ٨٣١ - ٨٩٧ م] « العبقرية الإسلامية » أن الشوير العربي ... خاصة عند فلاسفته « فولتير » [٦٩٤ - ١٧٧٨ م] و« روسو » [١٧١٢ - ١٧٧٨ م] هو بعث جديد لمذهب اللذة الأبيقوري القديم، وإحياء للدهرية، والإلحاد في مواجهة الدين والإيمان ... عن هذين الفيلسوفين الشويريين « إنما ينشأ قبر « أبيقور » الكلبي، وأحيانًا ما يلي من عظام الدهريين، ويبدأ كل تكليف ديني، وغرسًا بذور الإباحة والاشتراك. وزعما أن الآداب الإلهية خفيفات خرافية، كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني » ... وهذا الذي بعثه وأحياه الشوير الوضعي المادي العربي في اللذة والإباحة ... عند النزعة الأثيوبية المتطرفة، التي صعدت موجتها المجنونة مع « ما بعد الحداثة » منذ ستينيات القرن العشرين.

وفي إطار التراث العربي الحديث لمذهب اللذة والإباحة هذا القرأفون الفيلسوف الإنجليزي « هوبز » [١٥٨٨ - ١٦٧٩ م] « إن ما يسعد الإنسان ويسره هو الخير، وإن ما يؤلمه هو الشر » [1].

ونقرأ قول «فوكو [illegible] ميشيل» [١٩٢٦ - ١٩٨٤ م] [illegible] فلاسفة ما بعد الحداثة [illegible] «تُستخلص الحقيقة من اللذة [illegible] وتشكل [illegible] فهي لا تخضع لا [illegible] ولا [illegible] حقيقة [illegible]» [illegible] ونقرأ قول «أنجلز» [١٨٢٠ - ١٨٩٥ م] فيلسوف الشيوعية [illegible] «إن الزواج والأسرة [illegible] مدة [illegible] الحب الجنسي الفردي [illegible] وحين يستبعد [illegible] استبعادًا كاملاً، أو حين يحل محله حب جديد مشبوب العاطفة، يعود الطلاق عملاً حسنًا [illegible] للطرفين، كما [illegible] المجتمع [illegible] الشيوعية سوف تحول العلاقات بين الجنسين إلى مجرد علاقات شخصية، لا تعني أحدًا سوى الأشخاص المرتبطين بها ولا يكون من حق المجتمع أن يتدخل فيها، ويتحقق هذا التحول يوم يلغي النظام الشيوعي الملكية [illegible]، ويشرع [illegible] الأطفال [illegible] جماعية، فتقوض دعائم مؤسسة الزواج [illegible]»!

ونقرأ في إطار تراث اللذة والإباحية هذا [illegible] المفكر الألماني «أُجست بيبل» [١٨٤٠ - ١٩١٣ م] «إن [illegible] الغريزة الجنسية [illegible] شخصية [illegible] أخرى، فلا أحد يحاسب عليها أمام الآخرين، ولا [illegible] حق التدخل فيها، إن [illegible] ما [illegible]، وكيف [illegible]

وأنه وأنس ، هي من شئوني الخاصة ، وكذلك الحال بالنسبة لمضاجعتي لشخص من الجنس الآخر » ! .

ونقرأ كذلك ، كلمات « إيجور شافاريفتش » التي تصف دور الاشتراكية والشيوعية الأوربية في تحطيم الأسرة ، وفي الإباحية الجنسية : « إن العملية الاشتراكية الرامية لتجانس المجتمع تهدف أصلاً لإفساد الأسرة وتحطيمها ، ولن يكون ذلك إلا بتدنيس الحب الريحي وتهشيم أحاديثه (رجل واحد مع امرأة) ومن هنا فإن الحركات الاشتراكية تسعى في مرحلة التشتت إلى التأكيد على حرية الجنس ، وهذه قمة التساوي أو المساواة » !

وإذا كانت فوضوية ما بعد الحادثة قد اقترنت بفوضوية الإباحة الجنسية ، منذ سبعينات القرن العشرين ، فإنَّ لهذه الفوضوية تراثاً أوروبياً ، نجده عند فلاسفة هذه النزعة ، ومنهم « باكونين » [١٨١٤ - ١٨٧٦ م] الذي قال : « إن الدين أحد أجمعي وإن الكنيسة : حانة سماوية للتخدير وأحد المسكنات » ! .

هكذا وجدت النزعة الأنثوية المتطرفة لمذاهبها في البلدة والإباحية والشذوذ ، تراثاً عربياً ، انطلقت منه على هذا الطريق ، دونما قيود أو حدود ، والمصيبة الكبرى أنها تسعى لتعميم هذا البلاء على الحضارات ذات المواريث المختلفة عن مواريث العربية

تراث غربي في احتقار المرأة

في تفسير النزعة الصراعية، التي اتخذتها الحركة الأنثوية المتطرفة الغربية ضد الرجل، حتى لقد طمعت في عالم الأرجال [illegible] وأطلقت إحدى منظماتها على نفسها اسم «حركة تقطيع أوصال الرجال» معتبرة الرجل مستعمرًا للمرأة، تعاملها معاملة الأبيض الغربي للزنجية! [illegible] تفسير هذه النزعة الصراعية المتطرفة [illegible] أي تبرير لها [illegible] فلا بد أن نضع في الحسبان تراث «النزعة الصراعية» التي ميزت الحضارة الغربية وفلسفاتها ونظرياتها الأساسية.

ففلسفة السياسة عند «ماكيافيللي» [٤٦٩ – ٥٢٧ م] هي القوة [illegible] والمجد للأقوياء المصارعين لتحقيق السلطة القوية والاحتقار للأخلاق المسيحية، لأنها أخلاق الضعفاء والعبيد.

والفيلسوف الإنجليزي «هوبز» [١٥٨٨ – ١٦٧٩ م] هو صاحب شعار: «الإنسانُ ذئبُ الإنسانِ»!.

و[illegible] [٩ [illegible]] هو [illegible] حول النزعة الصراعية [illegible] نظرية، [illegible] على أن الحياة هي ثمرة للصراع [illegible] بين الأحياء [illegible] في هذا الصراع هو الأقوى [illegible] الأقوى هو الأصلح والأحق بالبقاء!

و«هيجل» [٧٧٠ – ٨٣١ م] [illegible] في [illegible]

العربية أرسطو العصر – هو الذي جعل [illegible]
فيه الأخرى ، [illegible] هذا التاريخ عند [illegible] الأقوى

و « ماركس » [illegible] [illegible]
[illegible]
التناقض والصراع بين الطبقات .. وأن هذا التناقض والصراع هو سر
التقدُّم والمحرِّك للتاريخ !

وقد استمرت هذه النزعة الصراعية ، مكوناً أساسياً في النظريات
العربية ، وفي الممارسات الإمبريالية العربية مع الشعوب [illegible]
الاستعمار العربي ، حتى [illegible] الرجل الأبيض [illegible] في صراعه
ضد الشعوب غير العربية وثقافاتها وموروثها الحضارية ومنظوماتها
القيمية رسالة حضارية [illegible] ، يطبق بها الرجل الأبيض « القانون
العلمي » في الصراع !

وهو ذات الفكر الذي [illegible] « صموئيل هنتنجتون » في
[illegible]
وهو ذاته الفكر الصراعي الذي تبنته الحركة الأنثوية العربية المتطرفة
ضد عموم الرجال [illegible] – إذن – التراث العربي ، في النزعة
الصراعية ، الذي انطلقت منه هذه الحركة الأنثوية المتطرفة

* * * *

وفي تفسير هذا العلوّ الذي سلكت طريقه هذه الحركة الأنثوية الغربية، عندما لم تقنع بتحرير المرأة وإنصافها، فطمعت في عالم تنفرد به المرأة، وتتمكّن من التمركز فيه حول ذاتها، مطلقاً [illegible] الموضوعية لمفهومها عن حرية المرأة. في تفسير هذا العلوّ [illegible] تبريره. لابدّ أن نرى هذا العلو الأنثوي في سياق نزعات العلوّ التي تميزت بها المسيرة الحضارية الغربية. فالعلوّ الكهنوتي، الذي جعل الدنيا والدولة وسائر العلوم دنيا خالصة، لها بنات الدين وقداسته، هو الذي أثمر ردّ فعله، المواري والمساوي له.. أثمر العلوّ العلماني، الذي جعل الإنسان سيّد الكون، بدلاً من الله، وأضفى على العقل الإنساني الإطلاق، بدلاً من الدين واللاهوت، وذلك عندما رفع شعار «لا سلطان على العقل إلا للعقل»، وعزل السماء عن الأرض، بالعلمانية التي رفضت أي تدبير سماوي أو رعاية إلهية للدولة والسياسة والاجتماع، بل وللقيم والأخلاق أيضاً!

فنحن في المسيرة الحضارية الغربية أمام نزعة العلوّ [illegible] في العديد من النظريات، ومتخذة شكل ثنائيات المتناقضة والمتصارعة: «العقل والنقل».. «الفرد.. والمجموع».. «الذات والآخر» «الدين والدولة» «الدنيا والآخرة» «عالم الغيب وعالم الشهادة» «المادية والروحانية» [illegible]

وسطية جامعة، تجمع عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة، لتكوّن موقفًا ثالثًا متميزًا لكنه ليس مغايرًا لمرامّ القضايا الظاهرة. فالغلوّ النزعة الأنثوية المتطرفة أيضًا تراث في العلو الذي تميزت به مسيرة النظريات الفكرية في النموذج الحضاري الغربي بوجه عام. ويكفي في هذا المقام أن نشير إلى نموذج من احتقار المرأة في التراث الغربي، نرى كيف كان غلوّ الحركة الأنثوية الغربية تطرفًا يعالج تطرفًا آخر، وجنوحًا إلى التمركز حول الأنثى يواجه جنوحًا آخر في احتقار الإناث!.

ففي التراث الفلسفي الغربي نقرأ «سقراط» [٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م] «للرجال السياسة وللنساء البيت». ونعرف أن «أفلاطون» [٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م] كان مشجعًا للشذوذ الجنسي الذي كان شائعًا في المجتمع اليوناني، ويقال إنه كان شاذًّا. «وكان يأسف لأنه ابن امرأة! وظل يزدري أمه لأنها أنثى. وكان يرى أن الحب الحقيقي هو ما كان بين الرجل والرجل، ويرى الجمال المنهج في الشبان». ولقد دعا في جمهوريته إلى «أن النساء مخاريب يجب أن يكنّ مشاعًا للجميع، فليس لواحدة منهن أن تقيم تحت سقف واحد مع رجل بعينه منهم، وليكن الأطفال أيضًا مشاعًا بحيث لا يعرف الأب ابنه ولا الابن

أبه » [illegible] كما دعا إلى « تدريب النساء وهن عاريات تمامًا مع
رجال في الحلبة » [illegible] وقال أيضًا « على نساء الحراس أن يقفن
عاريات ، مادمن سيكتسين برداء الفضيلة » ! .

ويعرف أيضًا أن « نيتشه » [١٨٤٤ - ١٩٠٠ م] هو القائل
« إذا قصدت النساء فخذ السوط معك » ! [illegible] « فرويد » [١٨٥٦ -
١٩٣٩ م] قد زعم « أن الرجل يُمثِّل كامل الإنسانية .. وأن المرأة ،
بما أنها ليست رجلاً ، أو أنها رجل ناقص جسديًّا ، إذ لا قضيب لها
- تعيش أسفه أن لا تكون رجلاً » ! .

فهذا العلو في احتقار المرأة - بالتراث الفلسفي الغربي - قد أثمر
علوًّا سلكت طريقه الحركات الأنثوية الغربية . ومثل ذلك العلو في
احتقار المرأة ودونيتها ، نجده في التراث الديني الغربي .

فالخطيئة الأولى - التي حملت البشرية تبعات أوزارها - هي - في
هذا التراث - مسئولية المرأة وحدها - والحمل والولادة واشتياق
المرأة لزوجها هي عقوبة أبدية للمرأة على ارتكابها للخطيئة الأولى !
والزواج ليس مودة ورحمة ، وإنما هو تسلط من الرجل على
المرأة ! [illegible] في سفر التكوين [illegible] العهد القديم [illegible] رب
آدم « هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها » ؟
« فأجاب آدم : إنها المرأة التي جعلتها رفيقًا لي ، هي التي أطعمتني

من ثَمَر الشجرة فأكلتُ »

فقال الربُّ للمرأة « أُكثِّر لكثيرٍ أوجاع مخاضك، فتنجبي بالآلام أولادًا، وإلى زوجك يكون اشتياقك، وهو يتسلط عليك » !

وفي هذا التراث اليهوديّ الذي أصبح مع المسيحية تراثًا للحضارة الغربية « اليهودية - المسيحية » يصلي اليهوديّ كل صباح صلاة الشكر لله، لأنه لم يخلقه عبدًا ولا وثنيًّا ولا امرأة !.. وللرجل في هذا التراث قتل أولاده وتقديمهم قرابين، وله بيع بناته إماء، وفي سفر الخروج « إذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد » !

ولم يكن موقف التراث المصري للحضارة الغربية من المرأة بأفضل من التراث اليهوي.. ففي رسالة « بولس » الأولى إلى أهل كورنثوس « ذلك لأن الرجل عليه ألا يغطي رأسه، لأنه صورة الله ومجده، أما المرأة فهي مجد الرجل، فإن الرجل لم يؤخذ من المرأة، بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يوجد لأجل المرأة، بل المرأة وجدت لأجل الرجل، لذا يجب على المرأة أن تضع على رأسها علامة الخضوع » [إصحاح ١١ : ٧ - ١٠]

وفي هذه الرسالة أيضًا « لتصمت النساء في الكنائس، فليس مسموحًا لهن أن يتكلمن، بل عليهن أن يكن خاضعات على حدّ ما توصي به الشريعة أيضًا، ولكن إذا رغبن في تعلم شيء ما فليسألن

أزواجهن في البيت، لأنه عار على المرأة أن تتكلم في الجماعة [إصحاح ١٤ : ٣٥].

وبسبب هذا الموقف المحتقر للمرأة، رفضت وترفض كل الكنائس اليهودية وجميع الكنائس النصرانية [illegible] ونحن في القرن الواحد والعشرين [illegible] أن تحمل المرأة شرف الكهنوت وولاية [illegible] وحمل أمانة الدين وأسرار اللاهوت [illegible] حملت المرأة هذه الأمانة في الإسلام [illegible] الحقبة الأولى لظهور الإسلام.

وقد ظل هذا الموقف المحتقر للمرأة، في التراث الديني للحضارة الغربية، ثابتاً ومرعياً [illegible] «يوناقتير» [١٢٢١ - ١٢٧٤ م] يقول: «إذا [illegible] المرأة فلا تحسبوا أنكم [illegible] موجوداً بشراً ولا موجوداً موحشاً، لأن ما نرويه هو الشيطان نفسه وإذا ما تكلمت فإن ما تسمعونه هو فحيح الأفعى».

أما القديس «توما الأكويني» [١٢٢٥ - ١٢٧٣ م] فهو [illegible] «لا وجود في الحقيقة إلا لجنس واحد، هو الجنس [illegible] المرأة إلا ذكر ناقص، ولا عجب أن [illegible] المرأة [illegible] المعتوه والموسوم [illegible] قد سقطت في التجربة [الخطيئة الأولى] [illegible] وبذلك يتعين عليها أن تظل تحت الوصاية»!

أما القديس «أغسطين» [٣٥٤ - ٤٣٠ م] [illegible]

النساء للرجال كما يخضعُ العقلُ الضعيفُ للعقل الأقوى »

فهل نجد غرابة في علوّ النزعة الأنثوية المتطرفة، عندما تمركزت حول ذاتها، واحتقرت الرجل، وأعلنت عليه الحرب؟ هل نجد غرابة في ردّ الفعل المعاني هذا أمام هذا التراث الديني للحضارة الغربية، ذلك الذي حمل كل هذا الازدراء والاحتقار والدونية تجاه الإناث، مطلق الإناث؟!.

لقد اكتفت « الحداثة الغربية – منذ عصر التنوير في القرن الثامن عشر – بتأويل هذا التراث الديني – « اليهوديّ – النصرانيّ » – أما « ما بعد الحداثة »، فإنها لم تقنع بالتأويل، فتحاول إلى إعلان الحرب على هذا التراث الذي رأته تراثاً ذكورياً، لابد أن يتحوّل عن ذكوريته. ولقد عاملت ما بعد الحداثة هذه المنظومة الدينية والقيمية والأخلاقية معاملتها لكل الأنساق الفكرية الحداثية، فاجتاحتها الفوضوية والعدمية والتفكيك.

وفي إطار ما بعد الحداثة هذه كان علوّ النزعة الأنثوية المتطرفة ردّ الفعل المعاني على الاحتقار والدونية تجاه المرأة في تراث الحضارة الغربية، الفلسفي منه والديني على حد سواء!.

❁ ❁ ❁ ❁

ثمرات مرة للشذوذ الفكري

لم يكن موقف التراث الغربي، القانوني والسياسي، إزاء احتقار المرأة ودونيتها بأقل عنوّ من موقف التراث الفلسفي والديني. وفي هذا التفسير، وليس تبرير العنوّ بنزعة الأنثوية الغربية في الرفض لكل هذه المواريث.

ففي القانون الروماني، الذي يُمثّل مع الفلسفة اليونانية كلاسيكيات النهضة الأوربية، كان الاحتقار للمرأة، وحذفها من الحياة، هما موقف هذا القانون. فلم يكن لعبد ولا للمرأة أي كيان. وكل الحقوق وجميع الشرف كان وقفاً على رجال السادة الملاك الأشراف من الرومان. ومن عدا هؤلاء، وفيهم جميع النساء والعبيد والفقراء وسكان المستعمرات، هم بربرة وهمج، محرومون من كل الحقوق.. حتى حقوق تطبيق القانون الروماني عليهم.

وحتى التراث السياسي والقانوني للثورة الفرنسية سنة ١٧٨٥ م لم يكن موقفه من المرأة بأحسن حالاً ولا أقل احتقاراً لها من المواريث الغربية في الفلسفة، والدين.. والقانون.

ورغم إسهام المرأة في هذه الثورة، فلقد أعدمت حكومة الثورة داعية حقوق النساء «ماري كور» سنة ١٧٩٣ م، وأغلقت جميع النوادي والجمعيات النسائية، بل وقررت الجمعية التأسيسية التي

لا يرى المتغربون يتغربون فقد أصدرت من مواثيق لحقوق الإنسان والمواطنة. أصدرت هذه الجمعية التأسيسية قرارًا يقول: «إن الأولاد، وفاقدي العقل، والقاصرين، والنساء، والمحكومين بعقوبات بدنية وسائلة، لن يكونوا مواطنين»!

لقد جردت هذه الثورة المرأة من حقوق المواطنة، حتى شاع في الفكر الاجتماعي والسياسي الغربي:

«أن المرأة سوداء بالنسبة للرجل الأبيض»!

«وأن النساء أجرٌ مستعمرة للرجل»!..

واستمر هذا الوضع المزري والدولي للمرأة - بدرجات متفاوتة في المجتمعات الغربية - حتى منتصف القرن العشرين. ففي سنة ١٩٠٣م كانت سيدة مصرية - نفيسة إسماعيل باشا حمدي - مالكة لبعض الأسهم في شركة قناة السويس الفرنسية، فلما طلبت من الشركة بيع أسهمها، كان جواب الشركة أن هذا ليس من حقها، وإنما هو حق زوجها، لأن القانون الفرنسي - حتى سنة ١٩٠٣م - لم يكن يعترف بحق المرأة في التصرف بأموالها! ولما استفتت المرأة مفتي الديار المصرية يومئذ، الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [٢٦٥ - ٣٢٣هـ/١٨٤٩ - ١٩٠٥م] أفتى بأن الإسلام الذي قرر للمرأة ذمة مالية مستقلة، وحرية في التملك والاستثمار والإنفاق،

مثلها مثل الرجل تمامًا، منذ ظهور الإسلام.

وظلّت المرأة الأمريكية محرومة من الحقوق المدنية، وتعامل معاملة الزنوج، حتى أصدر الكونجرس الأمريكي إعلان الحقوق المدنية في سنة ١٩٦٤ م!..

وإلى ما قبل سنة ١٩٢٠ م كان الفكر السائد في أمريكا يقول: «لأن المرأة والعبد قد وهبوا أنفسهم لتوفير احتياجات الحياة، فقد تمتع رجل الأسرة بحرية الاشتغال بالسياسة» وحتى سبعينيات القرن العشرين، وقبل سنّ الكونجرس الأمريكي لإعلان الحقوق المدنية سنة ١٩٦٤ م، لم تكن مسئولية المرأة الأمريكية عن تصرفاتها تزيد على مسئولية الأطفال والمجانين.

بل وحتى اليوم، فإن ٢٥ % من نساء أمريكا مازلن يتقاضين أجورًا أقل من الرجال عن العمل المتساوي، في ذات الموقع، وبذات المؤهلات!.. ونسبة النساء المحرومات من الكافة الفرص في الحصول على العمل هي ضعف نسبتها في الرجال. ولم يدخل مجلس الشيوخ الأمريكي سوى امرأة واحدة، أما مجلس النواب فلم ترد عضويته عن إحدى عشرة امرأة، ومن بين ٦٧٥ قاضيًا فيدراليًا ليس هنا سوى ٨ قاضيات!..

فهل يستطيع منصف أن ينكر صلة احتقار التراث الغربي للمرأة

الفلسفي منه والديني والقانوني والسياسي وعلو هذا التراث في هذا الاحتقار يرد الفعل العنيف في علوه، ذلك الذي تحدثه الحركة الأنثوية في الغرب تجاه الرجل والدين، والله والطبيعة والتراث والتاريخ والقيم والعادات والتقاليد والأعراف ؟! .. إنها دوامة العلو، في الأفعال وفي ردود الأفعال، تلك التي حكمت موقف التراث الغربي من المرأة، وموقف المرأة من هذا التراث، وهي الدوامة التي أثمرت من بين ما أثمرت حركة أنثوية في أمريكا ٦٠ % من أعضائها سحاقيات وجعلت هؤلاء السحاقيات يسيطرن على الحياة المرأة في الأمم المتحدة، فتضعن شذوذهن « دينًا » جديدًا يقوم بوضع الحدود، ثم يعملن على عولمة هذا « الدين » الشاذ والنابض في أرجاء العالمين!

لقد عرفت الحداثة الغربية الصيحات المنكرة التي زعمت « موت الإله » و « موت الميتافيزيقيا » (أي الغيب والدين) ثم جاءت ما بعد الحداثة الغربية بالفوضوية والعدمية واللاأرادية، فزعمت « موت المؤلف » و « موت الحقيقة » و « موت المعنى » .. و « موت التاريخ » و « موت الأسرة » و « موت العفة » و « موت الحياء » وأخيرًا في النزعة الأنثوية المتطرفة « موت الرجل » .. بل لقد تحدث بعض من الغربيين عن « موت

العرب » الذي أعلن كلّ هذه الوفيات !

* * *

ولقد كان طبيعيًّا أن يثمر هذا الشذوذ الفكريّ للحركات الأنثوية شذوذًا في الممارسة والسلوك . وكان طبيعيًّا لكل ذلك أن تثمر الثمرات المرة والبائسة في تلك المجتمعات . وهي ثمرات تعبر عنها الأرقام الصارخة ، التي تنظر في شذر واستغراب للقلة من النساء الشرقيات اللاتي ما بن ينشرن بالنموذج الغربي في « تحرير المرأة » ، وللقلّة المتغرّبة من مثقفينا الذين يتجاهلون الواقع الاجتماعي البائس لكثير من المجتمعات الغربية ، فلا يرعوون عن الدعوة إلى « اللحاق بالغرب » وإلى التبشير بالنموذج الغربي حلاًّ للمأزق الذي يعيش فيه العرب والمسلمون .

إنّ الثمرات المرّة للشذوذ الفكريّ والثورة الجنسية التي قبلتها المجتمعات الغربية حقوقًا للإنسان ، تجسدها الأرقام التي تقول : إنّ ٩٥ % من الجنسين في السويد عندهم تجارب جنسية قبل الزواج ، لا كمجرد نزوة أو خطأ ، وإنما كممارسة طبيعية وعادية ، تبدأ منذ التلمذة في المدارس ، التي يتم فيها التدريب ، نعم التدريب ، على الممارسة الجنسية والنشاط الجنسي ، والتي تقوم فيها صيدليات بتوزيع الواقي الذكري وحبوب منع الحمل على

التلاميذ والتلميذات ... وتتم فيها الرعاية للحوامل المراهقات ! ..

وفي [illegible] سنة ١٩٨٥ م ٥٩ % من حوادث الطلاق تتم بسبب العنف المنزلي !

وفي [illegible] أكثر من ٥٠ % من القتيلات كل ضحايا الزوج أو الشريك ... وفي سنة ١٩٩٢ م ارتفع العنف المنزلي ٤٦ % ... وبلغت نسبة النساء اللاتي يتعرضن لضرب الزوج أو الشريك ٢٥ % من النساء ! ... وفي سنة ١٩٨١ م كانت نسبة النساء اللاتي يعشن مع رجل دون رباط رسمي ٨ % ... فارتفعت هذه النسبة سنة ١٩٨٨ م إلى ٢٠ % وكانت نسبة العائلات المنفردة ... أي الأطفال الذين يعيشون مع عائل واحد ١٤ % سنة ١٩٦١ م ... فارتفعت إلى ٢٧ % سنة ١٩٩١ م ... وتشكل النساء ٩٠ % من هذه العائلات المنفردة ... وفي سنة ١٩٨٤ م كانت نسبة طلب الزوجة للطلاق ٧١ % من حالات الطلاق ... وعدد حالات الطلاق ١٦٠,٠٠٠ حالة ، بينما كان هذا العدد قبل خمسين عامًا ٧,٠٠٠ حالة فقط ... أي أن الزيادة بلغت ثلاثة وعشرين ضعفًا ! ... وتراجعت نسبة الزواج ١٦ % ... وأصبحت نسبة الأطفال غير الشرعيين [illegible] ... وهم في [illegible] ٥٧,٣ % من الأطفال ! ..

وفي الدنمارك ... كانت نسبة المواليد غير الشرعيين ٥ % سنة

١٩٦٠م فارتفعت إلى ١١٪ سنة ١٩٧٠م ثم إلى ٣٣٪ سنة ١٩٨٠م ثم إلى ٤٦٪ سنة ١٩٩٠م وقريب من هذه النسبة في الدول السبع العليا في أوربا فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وإيرلندا ..

وفي ثلاث دول أوربية فقط هي ألمانيا وبريطانيا وفرنسا ٢٥ مليون امرأة تعيش وحيدة، إما بعدم الزواج، أو بسبب الطلاق والتفكك الأسري.

وفي بنجلاديش والبرازيل وكندا وكينيا وبولندا في السويد وغينيا الجديدة وتايلاند، تُمثِّل جرائم قتل الشريك لشريكته أبدًا من نصف جرائم القتل ضد النساء!.

وفي الفلبين وسريلانكا وتايلاند تعمل نصف مليون طفلة في البغاء الرسمي – فقط الرسمي – للأطفال!..

والإنفاق العالمي سنة ١٩٩٩م على تجارة الدعارة يبلغ ٢ تريليون دولار. وهذه هي التجارة العالمية الثالثة، بعد تجارة السلاح.. وتجارة المخدرات!

وفي هذا العالم ٦٠ مليون امرأة تحاول الإجهاض كل عام، وهو ما يعني قتل ٦٠ مليون طفل سنويًا! حتى لكأن حرب الإباحية الجنسية التي أعلنتها الحركات الأنثوية المتطرفة قد فاقت في

ضحاياها كل الحروب العالمية !.

ومع إباحة الإجهاض في روسيا سنة ١٩٢٠ م وفي انجلترا سنة ١٩٦٧ م وفي كندا سنة ١٩٦٩ م وفي أمريكا سنة ١٩٧٣ م فقد استمرت نسبة المواليد غير الشرعيين في الازدياد.

أما أمريكا، التي تريد عولمة نموذجها القيمي، وفرض طريقتها في الحياة على العالمين، فإن ٨٠ % من نسائها قد فقدن البكارة قبل الزواج. وفي سنة ١٩٨٤ م حدث ٢٩٢٨ حادثة قتل على يد أحد أفراد العائلة. وتلت القتيلات قتلن على يد الزوج أو الشريك. وأكثر من مليون امرأة سنويًّا تبلغ الشرطة باعتداء زوجها أو شريكها عليها. و ٩١ % من الاعتداءات لا تبلغ الشرطة. وتقتل يوميًّا أربع نساء بسبب الضرب المبرح بالمنزل. ومن ٢ إلى ٤ ملايين امرأة تتعرض للاعتداء عليها سنويًّا. و ١,٥ مليون زيارة للطبيب تتم سنويًّا بسبب اعتداء الزوج. وفي سنة ١٩٩٣ م كانت تغتصب امرأة كل دقيقة. وغالب الضحايا في سن تقل عن ١٧ عامًا. وفي أمريكا أعلى نسبة طلاق في العالم. ونصف عدد الزيجات ينتهي بالطلاق. ولقد نشرت مجلة (يو إس نيوز) في أغسطس سنة ١٩٩٤ م دراسة عن مكتب الإحصاء تقول إن ٢٧ % من أطفال أمريكا ١٨ مليون طفل يعيشون مع أحد الوالدين بعد تفكك الأسرة. وهذا الرقم

هو ضعفُ ما كان عليه سنة ١٩٧٠ م . وغالب هؤلاء الأطفال يعيشون على الإعانات الاجتماعية للدولة ، وهم الأكثر عرضة للفقر والحرمان ، والأكثر رسوبًا في المدارس ، و ٨٠ % من جرائم القتل عائلية ، و ٤٨ % منها مسرحها البيت . ومن سنة ١٩٦٠ م إلى سنة ١٩٩٠ م ارتفعت معدلات الجريمة ٥٠ % . وفي سنة ١٩٨٦ م كان في أمريكا نصف مليون مدمن هيروين ومليون متعاطي مهلوسات و ٢٠ مليون متعاطي ماريجوانا أو كانابيس و ٦ ملايين مرور وصفات طبية للحصول على المخدرات و ٢٠ مليون متعاطي كوكايين بصورة منتظمة - ومجموعهم نحو من ٤٧,٥ مليون أمريكي ، أي نحو ٢٠ % من سكان أمريكا ! وهناك ربع مليون مراهق يمس سنويًا بسبب المخدرات . وفي إحصاء سنة ١٩٨٥ م فإن ثلثي طلبة الثانوية العامة في أمريكا يتعاطون أحد أنواع المخدرات و ٩٣ % منهم يشربون الخمر ، وحوالي ٤٠ % منهم يشربونها بإفراط .

ولقد بلغ عائد رأسمالية الأمريكية التي يقولون إنها « نهاية التاريخ » بلغ عائدها من الاستغلال الجنسي لدعارة الأطفال لأطفال فقط - ملياري دولار سنويًا ! ..

ومع كل هذه الإباحية فلقد تناقص عدد سكان أمريكا - بالنسبة للعالم - من ٦ % سنة ١٩٥٠ إلى ٥ % سنة ١٩٨٨ م ، إلى

٤٥ ٪ سنة ٢٠١٠ م كما هو متوقع !

أما فرنسا : فإن تقرير « المعهد الوطني الفرنسي للأبحاث الديموغرافية » ديسمبر سنة ١٩٩٩ م يقول : إنّ من بين كل عشرة أزواج يوجد تسعة منهم خارج الإطار الشرعي للزواج [illegible] بدون عقد كنسي أو مدني أو حتى عرفي [illegible] ٥٣ [illegible] من الأمهات الفرنسيات يضعن مولودهن الأول خارج مؤسسة الزواج وربع هؤلاء المولود يفقدون الأب مدى الحياة [illegible] وهذه النسبة في زيادة مطردة ، فلما كانت ٦ ٪ سنة ١٩٦٧ م ووصلت إلى ٢٠ ٪ سنة ١٩٨٥ م وتجاوزت ٤٠ ٪ سنة ١٩٩٧ [illegible]

فهل بعد هذا الجنون الفكري والأخلاقي للحركات الأنثوية الغربية [illegible] الاجتماعية [illegible] المتغربين والمتغربات في بلادنا الدعوة إلى اتخاذ ذلك النموذج الغربي في « تحرير » المرأة قدوة لنا نحن العرب والمسلمين ؟ والدعوة إلى اللحاق بالغرب في هذا الميدان ؟ [illegible] الدعوة إلى السقوط في هذا المستنقع الذي تجاوز أصحابه ما ذهب إليه القدماء من قوم لوط [illegible] أولئك الذين استحقوا سخط الله وغضبه [illegible] فأنزل عليهم ما أنزل من العذاب [illegible] وهل هذا هو « التقدم » وهذه هي « التقدمية » التي يدعونا إليها هؤلاء المتغربون البؤساء ؟ !

التقليد الأعمى للشذوذ الفكري

لو أنّ الأفكار والفلسفات والممارسات الشاذّة للحركة الأنثوية الغربية، والتي تدعو إلى التمركز حول الأنثى، والطمع في استقلال المرأة عن عالم الرجال، حتى ولو بالشذوذ الشخصي، وعلى المعركة ضد الرجل، ومحاربة الزواج الشرعي، والأسرة، والإنجاب، والثورة على الله، والدين، واللغة، والتاريخ، والفطرة. ولا أعرف لو أنّ هذه الأفكار والفلسفات والممارسات كانت وقفاً على المؤمنين والمؤمنات بها، والداعين والداعيات إليها في الغرب، لما استحقت منا كثير اهتمام، بل لو أنّ هذه الأفكار والفلسفات الشاذة كانت مدهشة للحضارة الغربية، لقلنا إنّ هذا هو حقّهم في الاختيار وفي الاختلاف، ولكن وجهه هو موتها وليس في جهنم أزمة إسكان!.

لكن الذي يفرض علينا الاهتمام بهذا الشذوذ الفكري، الذي وضع في الممارسة والتطبيق، هو أنّ الغرب، كحضارة مهيمنة، تفرض علينا نحن المسلمين والشرقيين، وعلى كل عالم الجنوب هذه الأفكار والفلسفات، وذلك عندما يعولمها، ويضع عليها أختام وشعارات وأعلام منظمات دولية، التي يسلط عليها، والتي استولت الحركة الأنثوية الغربية المتطرفة على لجنة المرأة فيها

ونجحت في صياغة هذا الشذوذ « وثائق دولية » منذ مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤ م وحتى اتفاقية « CLDAW » ووثيقة حقوق الطفل فعدا هذا العوج الفكري والشذوذ السلوكي جزءاً من المنظومة الغربية التي يراد فرضها بالعولمة على العالمين.

ومن آفة التغريب، الذي نجح في تحويل نفر من مثقفينا إلى « صنابير » يسيل منها كل ما هو غربي، بدأ التبشير في بلادنا بهذا الشذوذ الفكري في الحركة النسوية الشرقية العربية والإسلامية فالكاتبة المغربية « فاطمة المرنيسي » التي تعيش في باريس وتكتب بالفرنسية تقول: « لقد قدس الروح الإسلامي هيمنة الرجل المطلقة » !..

والكاتب السوري « د. محمد شحرور » يرى أن عورة المرأة هي فقط ما بين الإلية وما تحت الإبطين والثديين، وما عدا هذه « الحبوب » من جسد المرأة لا عورة فيه، ولا جناح في عرضه على الكافة !.

والكاتب الفلسطيني « د. هشام سرابي » الذي أصبح أمريكياً، يكتب بالإنجليزية [illegible] « ما حصل للكتاب المقدس في المناخ الأوروبي » كما يدعو إلى تعميم « الأتاتوركية » في العالم الإسلامي، لاستئصال التقاليد

الإسلامية ! ..

وكاتب مصري مرموق « أحمد بهاء الدين » يدعو إلى ربط الأخلاق بالضمير ، بدلاً من الإسلام ، وإلى تاريخية الشريعة الإسلامية ، باعتبارها « شريعة البداوة » التي لا تصلح للمجتمعات المتحضرة ، فيقول : « لابدَّ من مواجهة الدعوات الإسلامية في أيامنا مواجهة شجاعة ، بعيداً عن اللفّ والدوران ».

إنَّ الإسلام ، كغيره من الأديان ، يتضمن قيماً خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضمير ، أما ما جاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية ، فقد كانت من قبيل ضرب المثل ، ومن باب تنظيم حياة في مجتمع بدائي إلى حدٍّ كبير ، ومن ثمَّ فهي لا تلزم عصرنا ومجتمعنا .

أما الأديبة المصرية « دارلوان السعداوي » ، فلقد ذهبت إلى حدّ القول : « شعرتُ أنَّ الله يحيّر الصبيان في كلّ شيء » !! .

ولم يقف زحف هذا الشذوذ الفكري عند قطاعات النخبة المتعالية ، وإنما ذهبت العولمة إلى استخدام التمويل لمئات المنظمات التي تُسمَّى « منظمات المجتمع المدني » التي تنشر بهذا العوج الفكري ، والتي يحدِّد لها الغرب جدول أعمالها مع الميزانيات التي تمول تنفيذ جدول الأعمال هذا .

ولمعرفة حجم هذا الاختراق ، يكفي أن تعلم حالة المناطق

المحتلة سنة ١٩٦٧ م من فلسطين .. ففيها ١٢٠٠ منظمة غير حكومية، تلقت سنة ١٩٩٧ م معونات قدرها ٦٨,٩ مليون دولار، من أصل إجمالي المعونات المقدمة لفلسطين والبالغة ١٥٢٧ مليون دولار، أي أن هذه المنظمات العاملة في خدمة الأجندة الاجتماعية الغربية قد حصلت على ٥ % من المعونات، بينما لم تحصل الزراعة والصناعة الفلسطينية إلا على ٢٤ مليون دولار، أي ١,٢ % من المعونات ! ..

وعن رسالة هذه المنظمات، تقول الباحثة الفلسطينية « جلود المصري » : « إن الأطر النسوية المزعومة لا تبرح في وضع أولوياتها عن الالتزام بأولويات وثقافة الجهات المانحة لها من أجل استمرار الدعم المالي فحسب، وهي بالضرورة تختلف عن أولويات مجتمعنا الفلسطيني » .

ويكفي أن نشير إلى أن هذه المنظمات، « التي تضرب بسيوف الممولين » قد أقامت ألبانيا ولم تقعدها حول موضوع « جنان الإناث » - الذي هو عادة قديمة منذ الفراعنة، وليس تشريعًا دينيًا والذي نقل مما سمته بالتطور الاجتماعي والتعليمي - في الوقت الذي صمتت فيه هذه المنظمات « النسائية » عن الاغتصاب المنظم الذي مارسه الصرب ضد أكثر من سبعين ألف امرأة بوسنية، تحت

سمع وبصر الممولين العربيين ... فضلاً عن الصمت القاتل لهذه المنظمات إزاء ما يحدث للمرأة الفلسطينية بواسطة الوحشية « الصهيونية – الأمريكية » !

إنّ أحداً لا يطلب إغلاق المنافذ الفكرية التي تأتي منها الوافد العربي، حتى ولو كان هذا الوافد شاذاً، كأفكار الحركة الأنثوية العربية المتطرفة. لكننا ندعو، عند تبني الأفكار الوافدة، إلى النظر في أسباقها وملابساتها والمواريث الفكرية والدينية والقانونية والسياسية التي أثمرتها، لندرك هل هي « مشترك إنساني عام » يفتح [illegible] في احتقار المرأة ودونيتها ؟ ..

لقد ثارت الحركة الأنثوية العربية ضد الدين ... في اليهودية والنصرانية ... الذي حمّل المرأة وحدها الخطيئة الأولى، والذي جعل زواجها وأشياقها بزوجها وحملها وولادتها عقوبة لها على هذه الخطيئة، إلى غير ذلك من الأفكار، التي حملت الكثير من التمييز ضد المرأة إلى حدّ الدونية والاحتقار. فإذا جاز التفسير أو حتى تبرير ثورة الحركة الأنثوية العربية ضد موروثها الديني باعتباره رد فعل معاني فيه ضد تراث معاني في احتقارها كامرأة ... فهل يجوز العاقل أن

بأخذ هذه الثمرة العربية والنتيجة العربية، وهي خصوصية عربية يغرسها في سياق إسلامي، مواريثه الدينية والحضارية مغايرة تمامًا.

بل مناقضة لهذه المواريث العربية؟!

لقد حمّلت اليهودية المرأة كلّ أوزار الخطيئة الأولى، وبرّأت آدم منها، وذلك عندما سأل الربّ آدم، كما جاء في سفر التكوين:

هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها؟

فأجاب آدم: «إنها المرأة التي جعلتها رفيقًا لي هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة فأكلت».

فقال الربّ للمرأة: «أُكثّر بكثير أوجاع مخاضك، فتنجلي بالآلام أولادًا، وإلى زوجك يكون اشتياقك، وهو يتسلط عليك»!

فإذا جاءت الحركة الأنثوية العربية تثور على هذا التراث الديني الذي كتب عليها اللعنة، وتثور على الزواج والإنجاب، اللذين تحدّث عنهما هذا التراث كعقاب! فهل يجوز لأي منا أن يردد هذه المقولات كالسعاوات، ويسير في طريق التقليد لهذه المواريث العربية وردود أفعالها، كما يصنع القردة المحترفون للتقليد؟!

إن القرآن الكريم قد أرسى دعائم المساواة بين آدم وحواء، فهما مخلوقان من نفس واحدة، ومتساويان في أهلية الخطاب الإلهي لهما، وفي التكليف، وفي وسوسة الشيطان لهما معًا، وفي

مسحبتهما معه منذ البداية لوسوسة الشيطان وفي النفس وفي سيجة الفعل .. وفي المراجعة .. وفي التعلم وفي الأوبة والتوبة وفي القول والتقبل متساويان في كل ذلك . كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف ١٩ - ٢٥] .

بل إن القرآن الكريم كثيرا يحمّل آدم قدرا أكبر من المسئولية ، فيقول ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه ٢]

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه ١١٥] .

فهل هناك عقل سوي يدين بنو آدم على هذا القدر التفاوت بين

ثاروا على العهد القديم ؟ ! .

وإذا كانت النصرانية قد جعلت « الرجل صورة الله ومجده ، أما المرأة فهي مجد الرجل . والرجل لم يُؤخذ من المرأة ، بل المرأة أُخذت من الرجل ، والرجل لم يوجد من أجل المرأة ، بل المرأة وُجدت لأجل الرجل » .. فإن القرآن الكريم قد قال : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

فالذكور والإناث جميعًا من نفس واحدة .. وبعضهم من بعض .. ﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء : ٢١] ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .. وحتى [الدرجة] التي للرجال على النساء ، في الأسرة ، وهي « القوامة » ، فإنها زيادة في المسئولية ، وليست استبدادًا .. فالقوّام هو دائم القيام .. وبعبارة الإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ هـ - ١٩٠٥ م] « فإن هذه القوامة تفرض على المرأة شيئًا وعلى الرجل أشياء » ! .. ثم إنَّ هذه « القوامة » ، التي هي القيادة والرعاية ، للمرأة فيها نصيب كبير يشير إليه الحديث النبوي « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته .. الرجل راعٍ على أهل بيته ، وهو مسئولٌ عنهم ،

والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلِها وولده ، وهي مسئولةٌ عنهم .. ألا فكلُكم راعٍ وكلُكم مسئولٌ عن رعيته » - رواه البخاريّ ومسلم - وصدق رسول الله ﷺ : « النساءُ شقائقُ الرجالِ » - رواه الترمذيّ والدارميّ وأبو داود - .. فهل مع اختلاف موقف موروثنا الدينيّ من المرأة عن موقف الموروث الغربيّ منها ، يجوز لعاقل تبني الدعوات الأنثوية الغربية ، وإعلان الحرب على الإسلام ؟ ! ..

۞ ۞ ۞ ۞

المحتويات

مقدمة ٥

مدخل عن قضية تحرير المرأة ٩

• النموذج الإسلامي لتحرير المرأة ١٥

في القرآن الكريم ١٧

في السنة النبوية ٢٦

• النموذج الغربيّ لتحرير المرأة ٣٥

بين التحرير من الظُّلم .. والتحرير من الفطرة ٣٧

فرض الشذوذ الفكري على العالم ٤٥

تراث الغرب في احتقار المرأة ٥٣

الثمرات المرة للشذوذ الفكريّ ٦١

التقليد الأعمى لهذا الشذوذ الفكري ٧١

المحتويات ٨٠

تم بحمد الله

هذا الكتاب

منذ بداية الغزوة الغربية الحديثة - التي جاءت « بالفكر » و « المدفع » ، لتغريب العقل حتى يتأبد احتلال الأرض ونهب الثروات - كان تركيز الغرب على اختراق الإسلام ومجتمعاته من خلال المرأة ! .. فهي راعية الأسرة .. وحارسة القيم .. وصانعة الأجيال .. حتى لقد قال المنصّرون : « إن النّساء هُنَّ المفتاح لزرع الكتاب المقدس في المجتمعات الإسلامية » ! .. ولقد كانت بقايات العادات الجاهلية .. وعوالم الشعوذة والخرافة هي المداخل لسلخ المرأة المسلمة عن ثوابت الهوية الإسلامية ..

ولأن الإسلام - منذ ظهوره - هو الذي حرَّر النساء مع الرجال .. كان تقديم « النموذج الإسلامي لتحرير المرأة » هو البديل « للنموذج الغربي » - الذي أصابه الإفلاس - والبديل - كذلك - « للتقاليد الجاهلية » ، التي يحملها البعض - ظلما - على الإسلام .. ولتزكية هذا الخيار .. يصدُر هذا الكتاب .

د. محمد عمارة